جامعة المنصورة
كلية الآداب

المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول (دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف)

إعداد

دكتور / وليد علي الطنطاوي

دكتوراه التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة

العدد الخامس و الستون – أغسطس ٢٠١٩

المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول (دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف)

د/ وليد علي الطنطاوي

ملخص البحث

عرضت في موضوع المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف ،لبيان حالة المجتمع الثقافية والعلمية، وانتشار التصوف في برقة وطرابلس ومبرراته، وأثر ذلك على المجتمع، وأثر مرور رحلات الحج على الحياة الثقافية ببرقة وطرابلس، وفائدة ذلك على علماء الإقليم خاصة، وعلى المشهد الثقافي في الإقليم عامة، ومدى استفادة الحجاج من مرورهم بالإقليم على المستوى الثقافي، وأسباب الضعف الثقافي وعوامل الازدهار في المنطقة خلال فترتنا التاريخية، وخلصت إلى عدة نتائج من أهمها أن الحياة الثقافية كانت تعاني حالة من الضعف والركود نتج عنها سيادة الجهل في المجتمع.

Abstract

I present, in the culture life in Berkh and Trabuls in the first age for Ottoman ,the political life in this period and I draw the scientific and culture society , and the spread of Sufism in Berkh and its causes , and its impact on society and the impact of the passage of The pilgrimage to the cultural life Berqh, Tripoli and its benefit to the territory Scholars especially and on the region cultural in general , and the extent of the cultural level for pilgrims who take advantage of their passage , and the reasons for the cultural weakness and factors prosperity in the region through our historical.

I concluded several results : the most important is that the cultural life was suffering from weakness and recession resulted from the rule of ignorance in the community.

تقـــديم :

دكتوراه التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

أعددت هذه الورقة لعرض موضوع المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف ، وسماتها، وعوامل ازدهارها، دراسة تاريخية تحليلية، ولا تعد رصدا شاملا لتراجم العلماء ودراسة آثارهم وتقييم جهودهم خلال تلك الحقبة من تاريخ برقة وطرابلس، فإنها تستحق دراسة منفردة لا تتسع لها صفحات هذا البحث.

فالباحث في موضوع المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف لا يحتاج جهد كبير ليكتشف أن هذه الحياة كانت خاملة راكدة إذا قورنت بما كانت عليه الحياة الثقافية في بعض الأقطار المجاورة خاصة في مصر والشام وإلى حد ما في بلاد المغرب، فهي منطقة بينية تقع بين مجتمعين متحضرين في مصر وتونس، ومن الإنصاف أن نقول إن ضعف النشاط الثقافي في برقة وطرابلس ، لم يبدأ مع وصول العثمانيين إلى منطقة دراستنا، فالعثمانيون ورثوا الوضع الثقافي من العهود التى سبقت حكمهم، كما أن الفوضى السياسية والادارية والاقتصادية التى رافقت حكمهم ساهمت في تعميق التخلف الفكري في البلاد وتدهور الثقافة أكثر فأكثر، وبالتالي توسيع الشقة بين المجتمع وبين النهضة العلمية.

ومع ذلك فلا يجب أن ننظر للأمر نظرة متشائمة مطلقة ، فمنطقتنا لم تكن تخلو من كل معالم الثقافة والفكر، فالتاريخ الثقافي لتلك الحقبة يفرد صفحات للعديد من رجال أجادوا في مجالات العلوم الدينية والفقهية واللغوية والآداب والتاريخ.

وأعرض لموضوع موضوع المشهد الثقافي في إقليم برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول دراسة تحليلية لعوامل الإزدهار وأسباب الضعف من خلال المحاور التالية:

أولا: توطئة تاريخية:

تمكن رجال الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا من الاستيلاء على مدينة طرابلس الغرب في عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م[١]، وطرد فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يسيطرون على هذه المدينة منذ عام٩٣٧هـ/١٥٣١م، وكان مراد آغا أول من شغل منصب الوالي التركي على البلاد، فكان يحكم باسم السلطان العثماني[٢]، واستمر في حكم طرابلس من عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م إلى سنة٩٦٣هـ/١٥٥٦م، وخلفه درغوث باشا الذي مد سلطانه إلى غريان ومصراته، وعمل على تجميل مدينة طرابلس وتطويرها مستعينا في ذلك بالعدد الكبير من الأسرى المسيحين الذين أسرهم في حملاته وغزواته البحرية، وبعد مقتل درغوث في حملة بحرية على مالطا عام٩٧١هـ/١٥٦٥م، تداول حكم البلاد مجموعة من العسكريين الأتراك والمغامرين[٣]، الذين أخذوا يتصارعون على حكمها، بسبب بعد طرابلس عن مركز الخلافة وفقر مواردها، وأصبح السلطان يقر حكم كل من نجح في السيطرة على طرابلس، وكانت هداياه للسلطان مجزية[٤].

وفي نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت تظهر بوادر الاستياء من الحكم العثماني المباشر، وأخذت تبرز نزعة قوية واضحة للاستقلال بالحكم، وقد بدأت هذه الحركة في صفوف

(١) العهد العثماني الأول من عام٩٥٨هـ/١٥٥١م حتى عام١١٢٢هـ/١٧١١م، والعهد العثماني الثاني من عام ١٨٣٥م حتى عام ١٩١١م.

(٢) دخلت طرابلس في حكم العثمانيين في عهد السلطان العثماني سليمان الأول (٩٢٦هـ/١٥٢٠م- ٩٧٤هـ-١٥٦٦م)، وقد بلغت الدولة العثمانية في أيّامه أعلى درجات الكمال والازدهار. انظر محمد فريد : تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة العاشرة: ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦ م، ص ١٦٤.

(٣) ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، دار المدار الإسلامي، عنى بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٦١؛ خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧، ص٨٤.

(٤) وهم يحيي باشا، ومصطفى باشا، ومحمد باشا، وجعفر باشا، وسليمان طاي، وشريف باشا، ورمضان طاي. انظر اتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م، تعريب خليفة التليسي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ١٩٧٤، ص١٧٤ وما بعدها؛ وقارن : النائب الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس، الفرجاني، ص١٩٧ وما بعدها.

الانكشاريين الذين كانوا يميلون إلى عدم الخضوع للولاة الذين ترسلهم القسطنطينية، ويفضلون الانصياع لعناصر منهم ينتخبونها، فيما عرف بنظام الداي والديوان (من١٠٠٣هـ/١٥٩٥م إلى١٠١٩هـ/١٦١١م)، وقد اهتم الولاة في هذه المرحلة بجمع الثروات ونقلها معهم عند رحيلهم عن البلاد وانتهاء مهامهم بها، وقد تعاقب على أمر البلاد بعدهم ولاة ودايات واجهتهم سلسلة من الاضطرابات والثورات المستمرة التى كان يثيرها الأهالي الذين كانوا يرفضون الحكم العثماني ودفع الضريبة، أدى في بعض الحالات إلى الزحف على المدينة ومحاصراتها[٥].

والنظر في أسلوب الحكم وطريقة الوصول إليه، وشكل الديوان، وأشخاص الدايات، تثبت أنه لم يكن لأهل البلاد شيء من الأمر الذي كان بيد فئة متسلطة مستبدة من الانكشارية والعناصر الطارئة، فكان يكفي لأي مغامر أن يظهر نبوغه في أساليب الوصول والانتهاز، أو يبرز في مجال الحروب البرية أو البحرية[٦] حتى يصل إلى التحكم في مصير البلاد والعباد[٧]، من أمثال محمد باشا السـاقزلي (١٠٤١هـ/١٦٣١م-١٠٦٠هـ/١٦٤٩)، فكان عهده ظلم وجور وتضييق على الناس بالجبايات والضرائب الفادحة[٨]،

وعثمان باشا الساقزلي١٠٦٠هـ/١٦٤٩-١٠٨٣هـ/١٦٧٢م)، الذي تسلط على الرعية وكان محبا للمال[٩]، وكان يجبر الناس على شراء غنائمه البحرية بأسعار عالية[١٠]، فنزح بعض الأهالي إلى بلدان أخرى فرارا من ظلمه وجوره، ففرض على الباقين ما لزم البلدة كلها قبل النزوح(١١).

وكانت سياسة العثمانيين تقوم على تغيير الولاة في فترات متقاربة، فقد بلغ عدد الولاة منذ عام ١٥٥١ وحتى عام ١٧١١م أربعة وثلاثون واليا، ويرجع السبب في ذلك إلى أن المناصب كانت تباع، وأن السلاطين كانوا يخشون من ولاتهم الاستقلال، ولا شك أن هذه السياسة أدت إلى استغلال الشعب في النواحى المالية، إذ كان

(٥) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨١.

(٦) ومنهم صفر داي الذى تولى زمام الأمر عام ١٦١١م، وقد شجع الغزوات البحرية، حتى تزايدت في عهده الأسري من المسيحين فشيد لهم معتقل خاص لإيوائهم حوالي سنة١٠٢١هـ/١٦١٣م قرب قصر درغوث، وكان يستوعب حوالي ستمائة نسمة وقد عرف باسم الحمام القديم. انظر خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨٤.

(٧) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨٤.

(٨) ابن غلبون: التذكار، ص ١٧٨؛ خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨٥. أقام الحمام الجديد (حمام سانت انطونيو وهو مكان مخصص لإيواء الأسرى)؛ شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة وتحقيق د. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص١٤٦ .

(٩) ابن غلبون: التذكار، ص ١٨٥، ص٢٠٥، أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص٢٤٤.

(١٠) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨٨.

(١١) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٣٩، خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨١.

الوالي يحرص على استرداد الرشوة التى دفعها للباب العالي للحصول على هذا المنصب، وكذلك لتنمية ثروته الخاصة قبل أن أن يأتيه قرار العزل، وهذا له مردوده السيء على نواحى الحياة الحضارية، وقد امتدت سلطة العثمانيين إلى معظم المناطق الساحلية كبنغازي ودرنة وكانت قبضة السلطة على المناطق الداخلية ضعيفة(١٢)، وظلت البلاد في فوضى حتى نجح أحمد القرمانلي(١٣) في الوصول إلى حكم طرابلس وأقام فيها دولة شبه مستقلة عن العثمانيين في عام ١٧١١م(١٤).

ثانيا : الحياة الثقافية في الإقليم في العهد العثماني الاول:

العلوم الدينية واللغوية:

انحصر اهتمام الناس في العلوم الاسلامية، وأصبحت الحياة الثقافية ذات صبغة دينية، وكانت معظم الدراسات تنهل من المذهب المالكي، وظهر في هذه الفترة ما يعرف في الشمال الافريقي بالكَناشّ أو الكنّاشة، وهو مجموعة كتابات حول موضوعات مختلفة وفي فترات متباينة وتشكل قراءات واقتباسات وآراء كاتبيها من شيوخ الطرق الصوفية والدينية، ويمكن اعتبارها مذكرات شخصية(١٥). ومن هذه المناهل اعتمد الفقهاء في تدريس المذهب المالكي، فظهرت موجزات ومختصرات لهذه الفروع. وكانت هناك دراسات في المذهب الاباضي عند اتباع هذا المذهب، اهتمت بما ألفه فقهاء وأئمة هذا المذهب من كتب وما أصدروا من فتاوى وتفسيرات وإرشادات.

وبالنسبة إلى العلوم اللغوية:

فقد كان الاهتمام واضحا بالنحو والصرف ولغة العرب عموما، لضرورة ذلك في فهم القرآن والسنة وكتب الفقه، ومن النادر أن نجد فقيها لا يهتم بالنحو والصرف، ولكنها لم تبلغ المكانة التى بلغتها في البلدان الاخرى، وكانت الكتب التى ألفت في برقة وطرابلس اختصارات أو اقتباسات من أمهات الكتب، كما اهتموا بألفية ابن مالك والأجرومية، وينقل عن عبد السلام الاسمر صاحب الطريقة الصوفية المعروفة باسم السلامية في حث الناس على تعلم النحو وفق ما جاء في إحدى وصاياه لأتباعه قوله: تعلموا النحو فإنه زين الكلام، وجمال المنطق وقوام اللسان، وهو علم من أشرف العلوم ، يزيد المرء بعلمه فهما وفضلا، ويكبره عند العلماء ، ولا يهتم اللفظ أو الشعر إلا

(١٢) كان إقليما قورنة (شحات) وبرقة (المرج) مستقلين في أغلب الفترات وتسيطر عليهما جاليات عربية أندلسية قدمت إلى برقة بعد أن طردها فيليب الثالث من أسبانيا . انظر شارل فيرو: الحوليات ص ١٤٨.

(١٣) من العسكريين القولوغية (اوهم الأبناء الذين ولدوا من آباء أتراك وأمهات عربيات) أقام نظاما وراثيا حصره في أسرته ، واستمر حكم القرمانليين حتى عام ١٨٣٥م .

(١٤) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨١.

(١٥) ألفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي،ط٢، ١٩٨١، ص١٢٧؛ الزركلي: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠، ج٢ص٣١٥؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المتنبي ،ج٦ص٧٣ .

به. وقوله أيضا: "لا يجوز أحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملما بالنحو لأن كلام الله عربي ولا تعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية"(١٦)

ومن أشهر من ألف في الفقه والعلوم الدينية والنحو في العهد العثماني:

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الطرابلسي التاجوري: فقيه، حج ، وتعلم بمصر، توفي سنة ٩٦٠هـ(١٧).

الطيب بن أبي بكر الغدامسي: كان فقيه بلده ، توفي بعد عام ٩٦٠هـ .(١٨).

محمد بن علي الخروبي: ويوصف بأنه عالم وفقيه صوفي، وهو من مواليد قرقارش أحد ضواحي طرابلس، ومن تآليفه الدينية: (مزيل اللبث عن أدب وأسرار القواعد الخمس) ، وشرح على الصلاة المشيمية وشرح على حكم ابن عطاء الله ورسالة رد فيها على ابن عمر القسطلي ، وله تفسير يقع في ثمانية مجلدات ، توجد نسخة منه مخطوطة في دار الكتب المصرية، مكتوبة بخط مغربي، سماه(رياض الأزهار وكنز الأسرار)، ارتحل الى الجزائر وتوفى فيها عام ٩٦٩هـ/١٥٥٥م(١٩)

عبد السلام الأسمر الفيتوري: صاحب طريقة صوفية، أخذت حظا وافر من الشهرة في ليبيا وتونس، وتعرف باسم السلامية ، من مؤلفاته: كتاب (الأنوار السنية) ومجموعة من الوصايا والمواعظ خص بها أتباع طريقته الصوفية، توفي عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م، ويقال أنه عاش مائة وعشرة أعوام(٢٠)

محمد بن شعبان الطرابلسي: اشتهر بالفقه وباتساع معارفه ، وقوة حجته، من تآليفه شرح مجمع البحرين(تشنيف المسمع في شرح المجمع)، وكان على المذهب الحنفي، زار قسطنطينة في سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧م، وحظي فيها بشهرة واسعة بعلمه ووقوفه على أحكام الشريعة، وأعجب به شيخ الاسلام (صنع الله أفندي بن جعفر) وهو أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، فولاه قضاء طرابلس، ترك مجموعة من الفتاوي الفقهية القضائية ، توفى عام ١٠٢٠هـ/١٦١١م(٢١).

محمد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي: ولد بطرابلس ، ونشأ بها ، فقيه صوفي ، ولم تكن له رحلة، قال عنه العياشي: له مشاركة في العلوم ، وحسن اطلاع على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة، وحمدت سيرته فيها، وله مع ذلك ميل قوي لطريق القوم، وقد أخذ الطريق على ولي الله بلا نزاع ، بين أهل تلك البقاع، سيدي محمد الصيد، توفي سنة ١٠٧٧هـ(٢٢).

---

(١٦) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص١٩٩-٢٠٠، الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، طرابلس، الفرجاني، ١٩٦١، ص٢٨٦.

(١٧) النائب الأنصاري: المنهل العذب ، ص ١٩٧.

(١٨) النائب الأنصاري: المنهل العذب ، ص ١٩٨.

(١٩) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٠٠.

(٢٠) الطيب المصراتي: فتح العلي الأكبر في تاريخ سيدى عبد السلام الاسمر، بيروت، دار الكشاف ،١٩٦٩م، ص١٠٧، ١٦٧.

(٢١) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٢٨.

(٢٢) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٧؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٤٤.

محمد المكنـي[٢٣]: ولد بطرابلس، كان من أعلم أهل ذلك الساحل ، وتولى الفتوى ببلده مرارا، واشتغل بالتدريس، وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة، توفى قريبا من سنة ست وخمسينو ألف (١٠٥٦هـ /١٦٤١م). ولم يخلف إلا ولده هذا، واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدي محمد بن مساهل وعلى غيره. وكان له ذكاء عقل، وزيادة نبل، فمهر في فنون عديدة وفاق أقرانه. فلما عزل شيخنا ابن مساهل عن الفتوى، حسبما تقدم، وليها هو فحمدت سيرته فيها وظهرت نجابته وسدد في فتواه. وولي أيضا تدريس الجامع الكبير والخطابة والإمامة به. لقيته بداره ولم تطل مجالستي له، واستعرت منه المطول لسعد الدين[٢٤] فأعاره، وكانت له خزانة كتب ليس مثلها لأحد من بلده، ثم استعرت منه بعد ذلك العضد على مختصر ابن الحاجب[٢٥] وكان ذلك قرب رحيلنا، فأعاره، وكتبت له مع الرسول بيتين [٢٦].

الشيخ أبو العباس أحمد بن ثابت: ممن استوطن طرابلس ، فقيه، له رحلة من بلده إلى الأزهر ثم إلى الحج ، وفي عودته استوطن طرابلس، تولى التدريس بمسجد بطرابلس بين البئر الشامية والحمام الأكبر، وممن أخذ منه العلم مفتى طرابلس محمد بن مقيل، ولما طعن في السن انقطع عن التدريس[٢٧].

الشيخ أبو العباس أحمد النصري: ممن استوطن طرابلس، فقيه، تولى التدريس بها إلى أن توفى سنة ١٠٩٩هـ[٢٨]

أحمد بن محمد المكني: ولد بطرابلس سنة ١٠٤٢هـ ، قال عنه العياشي: وممن لقيته بطرابلس مفتيها الشاب الزكي، الفقيه اللوذعي، خير خلف ، عن خير سلف، سيدي أحمد المكني[٢٩]، بيته بيت علم

---

(٢٣) أبو عبد الله محمد المكني الطرابلسي: توفي عام ١٠٥٦. التقاط الدرر، ص١٢٢. الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، طبعة فاس ١٣١٠هـ، ج٢ص٣٥.

(٢٤) هو شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفي سنة ٧٩١هـ. لمفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦هـ. حاجى خليفة: كشف الظنون كشف الطنون عن أسامى الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)،ج٢ص١٧٦٣.

(٢٥) الإشارة هنا إلى كتاب : منتهى السول والأمل في علمي الأصل والجدل للشيخ الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي، المتوفى عام ٦٤٦هـ، صنفه أولا ثم اختصره، وهو المشهور بمختصر المنتهى ومختصر ابن الحاجب، وقد شرحه العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفي سنة ٧٥٦هـ. كشف الظنون ٢:١٨٥٣)

(٢٦) العياشي: الرحلة العياشية، تحقيق د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، طبعة دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارت العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ج١ص١٤٦؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٦٥.

(٢٧) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٤.

(٢٨) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٤.

(٢٩) محمد بن محمد المكني الطرابلسي: من بيت علم وتصوف، ولى الخطابة والتدريس والافتاء بمدينة طرابلس. التقاط الدرر ص٢٣٨. نشر المثاني: ج٢ص٥٩. أبو الحسن الجزولي التمكروتي: رحلته

من لدن أسلافه الكرام[٣٠]، تولى الإفتاء، ثم تخلى عنها، ومن مؤلفاته" شكر المنة في نصر السنة"[٣١]، توفى عام ١١٠١هـ[٣٢]

الشيخ محمد بن مقيل : ولد بطرابلس سنة ١٠٥٤هـ ، كان متبحرا في الفقه على مذهب مالك، وشاعرا ، برع في النظم والنثر، ولم تكن له رحلة، وتولى الإفتاء بطرابلس عندما كبر سن الشيخ أحمد المكني، توفى سنة ١١٠٠هـ[٣٣]

الشيخ أحمد بن عيسى الغرياني: ولد سنة ١٠١٤هـ بغريان، فقيه، كان شديدًا في الحق، توفى عام ١١٠٨هـ[٣٤]

سعيد الشريف: ولد بطرابلس، يصفه الأنصاري بأنه (بلغ المرتبة العليا في النحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان وعلم الحديث ومصطلحه) وكان شيخ مشايخ عصره في العلم البركة والدين، محقق ومدقق، صرف مدة عمره في التدريس، أفاد وأجاد ورحلت إليه الناس من أقصي البلاد وأخذوا عنه وانتهت إليه الرياسة ، واليد الطولى في المعقول والمنقول، وكان صاحب كشف واشارات لا يخاف الحكام، استدعى الى تونس فأصبح المدرس الأول في جامع الزيتونة، إذا حضر مجلسا واجتمعت فيه العلماء، لا يؤخذ الا بقوله، توفي عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م [٣٥] .

الشيخ عبد الله بن أحمد بن غلبون: ولد بمصراته، فقيه، ارتحل إلى جربة، ومصر، توفى عام ١١١٥هـ[٣٦]

أحمد بن عيسى اليربوعي: فقيه، إمام مسجد الحاج إبراهيم بأقصى مدينة طرابلس، قال عنه العياشي: وكان من أماثل هذا البلد علما وورعا وزكاء أخلاق وطيب أعراق. وكان أبوه سيدي عيسى هو قاضي المدينة منذ أزمان كثيرة، فلما توفي أبوه تولى القضاء وحمدت سيرته فيه وتحلى بحلية العدل، ثم استعفي منه فأعفي، ثم أعيد ثانية، وبعُد صيته وانتشر الثناء عليه وكثر حامدوه، إلى أن توفي قبل وصولنا بأشهر قليلة في سنة ١٠٧١هـ[٣٧].

الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الصادق: أسرته بأرض فزان، ثم انتقل إلى طرابلس، فقيه، له تصانيف في علم الكلام والفقه والتصوف[٣٨]، وقد ذكر ابن غلبون أنه "يميل لجمع المسائل دون تحرير"، واستشهد في ذلك بقول الشيخ " قصدي

النفحة المسكية في السفارة التركية، ص ٧٧-٧٨.
كان في طرابلس في المحرم من سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م. أقام بطرابلس شهرا واثنى عشر يوما.

(٣٠) العياشي: الرحلة ج١ص١٤٦، ج٢ص٥٠٥.

(٣١) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٦٤.

(٣٢) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٥.

(٣٣) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٦؛ وقد ذكر انه تزوج ابنة الشيخ أحمد المكني ؛ قارن النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٧٣.

(٣٤) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٧.

(٣٥) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٦٤.

(٣٦) ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٨.

(٣٧) العياشي: الرحلة ج١ص١٣٧، النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٤٣.

(٣٨) ابن غلبون: التذكار، ص٢٧٧.

حفظ الدين ونقل أقاويل العلماء"[٣٩]، توفي عام ١١٣٨هـ[٤٠].

برز عدد قليل من الكتاب في التاريخ ، ويلمس المرء أن الغاية العلمية المجردة كانت حافز أولئك المؤرخين لتأليف كتبهم ، فنجد عبد السلام بن عثمان وكريم الدين البرمونى ، وهما من مؤرخي ذلك العصر ، يعتمدان قصصًا وروايات وحكايات لا غنى لأي باحث في تاريخ تلك الحقبة من الرجوع إليها وهما:

كريم الدين البرموني: من رجال القرن العاشر الهجري، ولد ونشأ في مصراته، ألف كتابا في سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري، الذي كان ناكرا لطريقته الصوفيه، ثم أصبح من أشد أنصارها ودعاتها، وقد سمى كتابه (روضة الأزهار في مناقب سيدي عبد السلام) [٤١] ، قام أحد العلماء التونسيين وهو محمد بن عمر مخلوف الذي كان من اتباع الطريقة السلامية، بتلخيص كتاب البرموني وطبعه في تونس، واشتهر باسم مختصر البرموني، وعن طريق هذا المختصر عرف محتوى الكتاب الأصلي، الذي ضم سيرة عبد السلام الأسمر منذ ولادته، وحتى وفاته، كما ضم شروحا لطريقته الصوفية وأشعاره وأوراده وأحزابه، ووصاياه وشيوخه، وتكمن قيمة الكتاب في أن المؤلف تعرض أثناء حديثه عن الشيخ عبد السلام إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة أثناء حياة المترجم له، وكذلك عن تاريخ الحركة الصوفية، وتعريف وشروط الولاية ومجمل عن المعتقدات التى كانت سائدة في ذلك العصر، ولم يعرف تاريخ وفاته، إنما ولادته كانت في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م[٤٢]

عبد السلام بن عثمان التاجوري: من مواليد بلدة تاجوراء[٤٣]، تفقه من علماء البلد، ولم تكن له رحلة عنها[٤٤]، وهو أحد أحفاد الشيخ عبد السلام الاسمر، وصف بأنه كان بارعا في علوم الشريعة الاسلامية، وعلوم التصوف، له عدة تآليف منها "تزبيل المعيار" في الفتاوي، و"فتح العليم في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم" وتعليق على مختصر الجليل[٤٥]، غير أن مؤلفه الصغير الذي أسماه (الاشارات لبعض ما في طرابلس من مزارات) يعتبر ذا قيمة علمية لدارسي الحركة

(٣٩) ابن غلبون: التذكار، ص٢٧٧.

(٤٠) النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢٩٠.

(٤١) توجد نسخة من المخطوط بمكتبة مركز جهاد الليبيين تحت رقم ٨٢١ تقع في ١٩٦ ورقة ، فرغ من تأليفها سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م. انظر عبد الحميد الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي،أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ١٩١.

(٤٢) علي مصطفى المصراتي: مؤرخون من ليبيا، طرابلس، الشركة العربية للنشر،١٩٧٧م، ص ٥٣؛ الطيب المصراتي: فتح العلي الأكبر ، ص١٢.

(٤٣) قرية شرق طرابلس تبعد عنها اثنى عشر ميلا . انظر أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب ص ١٨٨ .

(٤٤) ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس، ص ٢٦٩. تدل أخبار ابن غلبون أن الشيخ غير أمين على العلم ، يناصر المبتدعة. ص٢٦٩.

(٤٥) أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب ص ٢٩٠.

الصوفية والدينية في المنطقة، إذ تضمن الاشارة إلى أضرحة رجال العلم والشيوخ الصوفيين، في عدد من المناطق[٤٦]، توفي عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م[٤٧].

الحركة الأدبية:

على الرغم من اضطراب الاحوال السياسية والاجتماعية والثقافية وتباين الاجواء الفكرية ، فالأدب النثري تمثل في الخطابة والرسائل والحكم، فالبنسبة للخطابة ، فقد شهدت منابر المساجد ، خطباء اعتادوا اقتناء مخطوطات أو كتب ، تحتوى خطب جاهزة متنوعة تلائم المناسبات الاسلامية ، وأما الرسائل فقد كانت وسيلة للاتصال بين الناس ونقل أخبارهم وأحوالهم ، وكذلك مواعظهم ووصاياهم للاخرين ، ويحرص كاتب الرسالة على متانة صياغة رسالته، وتشيع في مقدمة الرسائل أسلوب العصر في كثرة التسبيح والتحميد والاستشهادات القرآنية والنبوية، وتختم الرسائل بتحميل المرسل إليه أحر تحيات وسلام المرسل ، ثم بالدعاء له بطول العمر والسلامة، وقد حفظت بعض كتب السير العديد من رسائل المترجم لهم والذين عاشوا في العصر العثماني والذين كانوا قد خطوها إلى أصدقائهم أو مريديهم وأتباعهم ، كما حفلت كتب التاريخ بمجموعة من تلك الرسائل التى اعتمدت كوثائق مهمة ومصادر تاريخية ومنها رسائل الزروق في كتاب أحمد الزروق والزروقية[٤٨]، ورسائل عبد السلام الاسمر ووصاياه إلى أتباعه وأصدقائه[٤٩]

الشعر: ساد الشعر الديني والصوفي ، وشعر المدائح النبوية والابتهالات ، ولم تكن هناك نماذج للشعر السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي الذي يُسخر للدفاع عن قضية أو فكرة. ومن الشعراء الذين عرفوا واشتهروا في ذلك العصر:

أحمد البهلول بن حسين ابن سيد الناس: ولد بطرابلس ونشأ بها، وارتحل إلى مصر، وعاد إلى طرابلس[٥٠]، وهو من أدباء وشعراء طرابلس، اشتهر بورعه وتصوفه، توفي عام ١١١٣هـ/١٧٠١م[٥١].

(٤٦) اهتم به الباحثون الايطاليون، فطبع تحت إشراف أنطونيو تشيزارو عام ١٩٣١م بمطبعة الولاية بطرابلس، كما أعيد طبعه حديثا من قبل مطبعة النجاح بطرابلس. وهو مؤلف صغير الحجم يقع في مائة واثنتين وثلاثين صفحة. انظر تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٨،، ص٢٨٩ ؛ وقارن عبد الحميد هرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، ص١٩٨.

(٤٧) الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص١٧٤.

(٤٨) علي فهمي خشيم: أحمد الزروق والزروقية، طرابلس المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص٥٨ ، ص١٥٧، ١٥٨، ١٩٢.

(٤٩) الطيب المصراتي: فتح العلي الأكبر في تاريخ سيدى عبد السلام الاسمر، ص١٣٨، ص١٥٧.

(٥٠) النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢٧٤.

(٥١) ابن غلبون: التذكار، ص٢٧٩؛ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا ، ص٥٥؛ وعلى مصطفى المصراتي: لمحات أدبية من ليبيا، طرابلس، مطبعة ولاية طرابلس الغرب، ١٩٥٦، ص١٥.

محمد بن العربي بن حمودة الصغير الهاشمي: من شعراء القرن الثاني عشر الهجري، ولد بطرابلس، ونشأ بها، رحل إلى مصر ، ودرس في الأزهر، وعاد إلى طرابلس عام ١٧١٧م، توفي عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م(٥٢).

وبعض الفقهاء كانت لديه موهبة الشعر ومنهم أبو عبد الله المكي، مفتى طرابلس، التقى به العياشي في مسجد طرابلس وسمع منه قصيدة نونية في ذم الدنيا(٥٣).

ومما أود الإشارة إليه أننى لم أجد ذكر لدور المرأة في الحياة الثقافية خلال تلك الفترة. ويبدو أن العادات الشائعة كانت تمنع خروج النساء إلى الشارع في أغلب الحالات(٥٤).

أما عن العلوم العقلية، يقول الاسير جيراد: في سنة ١٦٤٤م بنى عثمان باشا في موقع القصر الحمام الجديد المخصص للأسرى المسيحيين ، وكان عثمان باشا قد استعمل بعض قاعات هذا القصر كمستشفى خاص بهؤلاء الأسرى حيث كان يقوم على رعايتهم أطباء مكلفون بذلك ، وقد خصص لهم حصة يومية من اللحم كما كان يصرف لهم الأدوية من صيدلية القلعة. (٥٥)

علاقة العلماء بالسلطة:

لما حاصر مراد بك ابن حمودة طرابلس باشا طرابلس، خرج إليه العلماء والأعيان يطلبون منه الكف عنهم ورفع الحصار فأجاب رغبتهم ورجع.(٥٦)

وكان للشيخ عبد الله بن أحمد بن غلبون مكانة وإقبال لدى أمير درنة محمد بن محمود باي(٥٧)، وقيل عن الشيخ أحمد المكني: لا تأخذه في الله لومة لائم(٥٨)، ويبدو أنه تخلى عن الإفتاء لامور سياسية. وقد طلب سليمان داي من الشيخ محمد الصيد التدخل لإقناع أويس أبو الهاجدي الذي أعلن التمرد في تاجوراء ضد الأتراك للعودة ، فتدخل الشيخ وعمل على إحلال النظام في المنطقة ، وسلم أويس بعض الهدايا(٥٩)، وكان الشيخ كان الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمد الصيد كثير التوجه إلى مصطفى البهلوان في الشفاعة ، فثقل عليه ، واتهمه، وأراد البطش به، ولما شعر الشيخ بذلك منه ، سافر ولحق بجربة.(٦٠) . وقيل بأنه نافذ الكلمة عند الأمراء(٦١) ذكر ابن غلبون أن عثمان باشا لما وقف أملاكه على بنيه، أحضر العلماء وسألهم عن صحة الوقف، فأفتوه بالصحة، فأمرهم بالتوقيع على الوثيقة، فلما حضر الشيخ أحمد بن عيسى

(٥٢) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٩١.
(٥٣) العياشي: الرحلة ج١ص١٣٧.
(٥٤) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٩٣.
(٥٥) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٩٣.
(٥٦) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٤٧.
(٥٧) ابن غلبون: التذكار ، ص٢٦٨.
(٥٨) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٦٤.
(٥٩) شارل فيرو: الحوليات الليبية ، ص ١٤٠.
(٦٠) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٤٦.
(٦١) العياشي: الرحلة، ج٢ص٥٠٠.

الغرياني، أمره عثمان باشا بالنزول[٦٢] والموافقة عليه، فأبى وأفتى ببطلان ذلك، فلحقه الأذى وسجن على ذلك[٦٣].

المراكز الثقافية:

انحصر العلم والتعليم في الكتاتيب والزوايا والمساجد والمدارس التى لعبت دورا في نشر العلوم الدينية واللغة العربية، في المدن والقرى ومناطق الصحراء، وقد اعتاد كل شيخ أن يمنح تلامذته، بعد استكمال منهجهم التعليمي إجازة تثبت تلقي العلم على يد هذا الشيخ، وأغلبهم يكتفي بما تحصل عليه من العلم محليا، ويعمل إما مدرسا أو إماما وواعظا في مساجد المنطقة، وقد يختار من اشتهر بالعلم منهم لتولي القضاء والفتوى في القرى والأرياف، والقليل جدا من يسافر خارج البلاد لاستكمال دراسته العلمية في الجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس وغيرها، وترجع الزيادة في عدد الجوامع والمساجد والكتاتيب ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والزوايا والمدارس التعليمية الدينية إلى الجهود الأهلية من أهل الخير والراغبين في الأجر، وبعض الولاة الأتراك وأفراد أسرهم [٦٤]. وأهم المراكز الثقافية هي:

المساجد: يأتي دور المسجد فى الحياة الثقافية فى مقدمة المراكز الثقافية، فقد اتخذه العلماء موئلا لنشر علومهم وملاذاً لطلاب العلم، ومن مساجد برقة وطرابلس التي كان لها دور مهم في العهد العثماني الأول:

الجامع الكبير بتاجوراء[٦٥] أنشأه مراد آغا [٦٦]، وكان مراد آغا قد أوقف جميع أملاكه على بناء المساجد والزوايا والكتاتيب[٦٧]، والمسجد الأعظم بطرابلس أنشأه درغوث وسماه مسجد درغوث، وهو من أكبر مساجد مدينة طرابلس [٦٨]،وقد أوقف درغوث أوقافا يستفيد منها الفقهاء القائمون على أمر المسجد) [٦٩]وقد قام صفر داي بترميم

(٦٢) النزول: التوقيع على الوثيقة، ويعتبر شهادة من الموقع بصحة ما فيها، هكذا جرى العرف عند الطرابلسيين. انظر الطاهر الزاوي : تحقيق التذكار ص ٢٦٧.

(٦٣) ابن غلبون: التذكار ، ص٢٦٧.

(٦٤) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، ص٢٨٣.

(٦٥) مدينة شرقي مدينة طرابلس بقليل. انظر ابن غلبون: التذكار ، ص١٦٩.

(٦٦) ابن غلبون: التذكار ، ص١٦٩؛ خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٧٧.

(٦٧) شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ص١٠٨.

(٦٨) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٧٨، ص٨١. وقد ذكر الجراح الأسير: ويؤدى الضباط الأتراك والانكشارية صلواتهم في هذا المسجد مما جعل الناس يعتبرونه المسجد الرئيسي بالمدينة ويقيم الإمام بهذا المسجد وهو الذي يعطى الأمر لبقية المساجد ويحدد أوقات الآذان بواسطة علم أحمر يرفع عند حلول الوقت، فوق المئذنة

(٦٩) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٩١.

وإصلاح المسجد الأعظم (جامع الناقة)[٧٠]، وذكر الجراح البروفنسالي جيراد[٧١] أن مدينة طرابلس بها ما يقرب من عشرين مسجدا، منها مسجد سيدى سالم المشاط[٧٢]، ومسجد الخروبة، ويضعها في المرتبة الثانية من حيث الضخامة بعد مسجد درغوث، وتعتبر المساجد الثلاثة في رأي الأسير هى المساجد الرئيسية في المدينة بحكم قدمها وعراقتها وبما توفر لها من مآذن عالية. أما بقية المساجد فلا تتميز في بنائها بأي شيء غير عاد سوى قبابها وبياض لونها ، ومصابيحها المتقدة والعدد الكبير من الفقهاء الذين يقومون عليها ، ويعيشون من أوقافها، وقد لحقت ببعضها مدارس لتعليم الأطفال والشبان. [٧٣]

ولم يقتصر بناء المساجد على الولاة فقط فقد بنى محمود الخازن دار[٧٤] خمسة مساجد بداخل طرابلس وخارجها، من بينها جامع ومصلى العيد [٧٥]، وأوقف عليها أوقافا جمة[٧٦]، كما أقام الداي مصطفى البهلوان مسجدا صغيرا على نفقته الخاصة بضاحية البازار [٧٧] وقد زاع صيت بعض المساجد منها جامع الحاج إبراهيم بأقصى مدينة طرابلس قرب ضريح سيدى سالم المشاط[٧٨]، ومسجد الشيخ محمد بن أحمد الإمام، الذي عرف باسمه، وكان يقع على مسافة قريبة من الجنوب الغربي من مسجد الشيخ الشعاب[٧٩]، ولم يقتصر المشائخ على نشر العلم بالمساجد المجاورة لهم، فقد كان الشيخ **محمد بن مساهل من عادته صلاة الجمعة في الهنشير، وذلك لنشر العلم في البقاع المجاورة لطرابلس**[٨٠]. وكان العياشي يؤكد أن المسجد هو روح البلد، **فإن حلت فيه الحياة، سرت في سائر الجسد**[٨١].

المدارس[٨٢]: تتكون المدرسة من ركن للدراسة وقسم داخلى يساعد على إيواء المحتاجين

(٧٠) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٨١.

(٧١) كان أسيرا بمدينة طرابلس لمدة تزيد على ثماني سنوات. انظر خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٨١.

(٧٢) إمام شهير (صوفي)، توفي عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م. انظر أحمد النائب الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق علي مصطفى المصراتي، المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م، ص١٠٨.

[٧٣] خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس ص٩٢.

(٧٤) ذكر ابن غلبون أنه كان علجا بلنسيان، أسلم وحسن إسلامه . انظر التذكار ص ٢١٣.

(٧٥) ابن غلبون: التذكار ص ٢١٣ .

(٧٦) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٢.

(٧٧) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٩٣.

(٧٨) العياشي: الرحلة ج١ص١٣٧. وهذا المسجد كان ينزل فيه العياشي عند إقامته بطرابلس في طريقه للحج.

(٧٩) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٤٧.

(٨٠) العياشي: الرحلة، ج٢ص٥٠١

(٨١) العياشي: الرحلة ج١ص ١٧٤

(٨٢) ذكر الطاهر الزاوي في هامش تحقيقه لكتاب التذكار لابن غلبون: ومما اشتهر به الترك في ذلك العصر ، سواء في طرابلس ومصر، أنهم يسلبون

والمغتربين من الطلاب، كل ذلك في نظام دقيق يجعل إقامة الطالب مفيدة، وفي ميدان الدراسة كان تحفيظ القرآن الكريم هو حجرُ الزاوية في طرابلس وفي كل المراكز التعليمية بجبل نفوسة، ومن العلوم الأخرى التى كانت معروفة بين منتسبي هذه المدرسة الفقه، والنحو والمنطق والفرائض والتوحيد[٨٣]. وقد أنشئت في العهد العثماني الأول مجموعة من المدارس من أشهرها:

مدرسة مراد أغا بتاجوراء[٨٤]، وقد أوقف عليها أوقافا جمة[٨٥]، وقد مر ابن غلبون بالمدرسة التاجورية وذكر أن بها طلابا[٨٦]، وأن الشيخ الفقيه محمد بن عبد الحفيظ النعاس التاجوري، كان يقيم بتلك المدرسة[٨٧].

مدرسة عثمان باشا الساقزلي المعروفة باسمه بقرب جامع درغوث باشا بطرابلس قرب باب البحر، وقد أوقف عثمان باشا مجموعة من الأملاك لصالح هذه المدرسة[٨٨]. ومدرسة إبراهيم داي[٨٩] بالقرب من مسجد درغوث. [٩٠]، وقد ذكر ابن غلبون أن الشيخ سالم بن أحمد قنونو الزليطني[٩١]، عمّر مدرسة بإزاء منزله، لينفع الناس[٩٢].

وذكر صاحبنا أنه دخل المدرسة التى بجنزور، فوجد بها الشيخ محمد بن بلقاسم الغرياني، ورحب بهم الطلاب ووصفها بقوله : "وهذه المدرسة من أحسن المدارس التى في السواحل[٩٣]

الأربطة: يمكننا أن نلاحظ بسهولة تراجع الدور التعليمي للأربطة الساحلية حيث كان لها دور بارز في العهود الإسلامية السابقة كأحد مراكز الثقافة لتعليم المتطوعيين والمترددين من طلاب العلم والمعرفة ونسخ الكتب، بجانب وظيفتها الدفاعية ضد هجمات الفرنجة على المدن الساحلية الإسلامية، ويرجع السبب في تراجع دورها التعليمي، هو تغير الاستراتيجية والوسائل

الناس أموالهم ظلما، ويبنون بها المدارس والجوامع. ص ١٨٥.

(٨٣) د. عبد الحميد عبد الله الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، ص٥١.

(٨٤) محمد ناجي ومحمد نوري: طرابلس الغرب ، ترجمة أكمل الدين محمد إحسان، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ١٩٧٣م، ص ١٥٦. وقد أنشأ المدرسة في عام ٩٥٧هـ/١٥٥١م.

(٨٥) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ١٨٩.

(٨٦) ابن غلبون: التذكار ، ص ٢٧٠.

(٨٧) ابن غلبون: التذكار ، ص ٢٩٤.

(٨٨) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٣٩؛ خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص٩٥؛ روسي: ليبيا منذ الفتح العربي، ص ٢٣٨، بشير محمد عربي: بلدية طرابلس في ١٠٠ عام ، طرابلس، منشورات بلدية طرابلس، ١٩٧٣، ص ٨٤. وقد ذكر الطاهر الزاوي في هامش تحقيق كتاب التذكار لابن غلبون أن عثمان باشا بنا المدرسة بما سلبه من أموال الطرابلسيين ظلما وعدوانا. ص١٨٥. أنشأها في عام ١٠١٤هـ/١٦٠٥م.

(٨٩) شارل فيرو: الحوليات الليبية ، ص١٩١. وقد ذكر شارل فيرو أنه كان ينتمى إلى الصوفية.

(٩٠) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ص٩٥.

(٩١) فقيه، رحل إلى مصر . ابن غلبون: التذكار ، ص ٢٩٤.

(٩٢) ابن غلبون: التذكار ، ص ٢٩٤.

(٩٣) العياشي: الرحلة ج٢ص٥٣١.

الدفاعية في العهد العثماني، حيث أصبحت الدولة تمتلك سلاحا بحريا قويا يستطيع حماية مدنها الساحلية من الاعتداءات والهجمات الخارجية دون الحاجة إلى الأربطة الأهلية التقليدية التى كانت المشاركة فيها تتم على سبيل التطوع وطلب الأجر، كما حلت محلها حاميات عسكرية نظامية ساحلية[٩٤]

الزوايا: وقد تحولت الزوايا إلى مكان لتحفيظ القرآن الكريم وحسب[٩٥]، وقد عني العياشي بذكر أسماء الزوايا والرابط وأعلام الصوفية الذين مر بهم في رحلته بأرض برقة وطرابلس[٩٦].

- **رقة:** يجدر بنا أن نسجل بداية أن عدم توافر الاستقرار فى برقة قد حرمها من توافر مقومات الازدهار الثقافي، ومن أن تشهد نشاطًا ثقافيًا ملحوظًا وهذا ما يمكن أن نستنتجه من صمت أغلب المصادر عن حركة علمية فى برقة، وتعوزنا الأمثلة الكثيرة عن العلوم والعلماء بها. وقد ذكر صاحبنا أثناء مروره بطرابلس ما يؤكد ذلك فقال: الجبل الأخضر، لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله، ليس عندهم من الدين إلا اسمه، لا حرفة لهم بعد تنمية مواشيهم إلا النهب والغارة[٩٧]. وقد ذكر العياشي ما يدل أن كثيرا من العوام من الجابية من برقة يطلقون اسم النبي على الصحابي، وقد شاهدنا كثيرا منهم يعتقد في أبي بكر وعمر وعلي أنهم أنبياء، ويظن أن اسم النبي والصحابي مترادفان[٩٨]
- أما طرابلس فقد شهدت رواجاً ثقافياً محدوداً بقدر ما توافر لديها من علماء محليين وعلماء وافدين فى شتى العلوم، وإن كانت العلوم الدينية لها المقام الأول بين العلوم[٩٩]، لكونها تمثل روح العصر، ومن ثم لم تشذ المنطقة عن سائر البلدان الإسلامية، وعما هو سائد آنذاك من علوم ومعارف، بالإضافة لهذا فقد أسهم العلماء فى حركة التأليف، أما ودان[١٠٠]: قال عنها النائب الأنصاري، وعندهم فقهاء وقراء[١٠١]، **وأما جبل نفوسة:** تدل كثرة المساجد والمدارس والزوايا في

(٩٤) د. عمر التومي محمد الشيباني : الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد التركي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٤، ص ١٤٢-١٤٣.

(٩٥) د. عبد الحميد عبد الله الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، ص٢٣، ص٣١.

(٩٦) تعد رحلة التيجاني من أوائل من اهتم برصد الجوانب الصوفية وذكر أعلامها في طرابلس .

(٩٧) العياشي: الرحلة، ج١ص٢٠٢، ويقول عن برقة بأنها: المتناهية الأطراف ، المخوفة الأكناف. انظر الرحلةج٢ ص١١١.

(٩٨) العياشي: الرحلة، ج١ص١٩٩.

(٩٩) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة الدكتور. عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص٦٩.

(١٠٠) على بعد ٢٤٠ ميلا من مدينة سرت لجهة الجنوب، وبعدها عن طرابلس ٥٣٤ ميل لجهة الجنوب الشرقي . انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٦.

(١٠١) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٧.

منطقة جبل نفوسة[١٠٢] على حياة ثقافية زاخرة[١٠٣].

التصوف[١٠٤] في برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول:

من المعلوم أن المذهب المالكي أكثر المذاهب انتشارا في برقة وطرابلس، وأن المذهب الاباضي كان منتشرا بشكل ضيق في بعض مناطق الجبل الغربي وزوارة[١٠٥]، إلا أنه مع دخول العثمانيون للبلاد دخل المذهب الحنفي بشكل رسمي كونه مذهبهم الرسمي[١٠٦]، وكان العثمانيون قد عملوا على تقريب رجال الدين من علماء ووعاظ وشيوخ للطوائف والمفتين والقضاة، نظرا لما كان يتمتع به هؤلاء من نفوذ وتأثير في أوساط الشعب، فعن طريق هؤلاء، نجحوا في إلباس حكمهم وجميع الاجراءات التي كانوا يتخذونها- من فرض ضرائب وملاحقة الرافضين لحكمهم -، ثوب الشرعية الدينية ، وتبعا لذلك فقد شكل رجال الدين طبقة اجتماعية متمايزة لها مكانتها ومزاياها الادبية والمادية داخل المجتمع[١٠٧].

وقد شهدت الحركة الصوفية في برقة وطرابلس إبان العهد العثماني، اتساعا ونفوذا في طول البلاد وعرضها حتى أصبح لكل قرية تقريبا شيخها ووليها الصوفي، تتبرك به وتقدم له النذور[١٠٨] وتخصه بالزيارات وإقامة الحفلات الدينية عند ضريحه[١٠٩]، ومردّ ذلك إلى عدة أسباب: **أولا: شمول وتعمق حالات الفقر والجهل،** مما هيأ المناخ المناسب للحركات الصوفية لتنتشر وتتسع ويزداد أدعياء الولاية والجذب، فوجد الناس فيها الملاذ الوحيد ليغرقوا فيها همومهم ومشاكلهم[١١٠]، فاستغل ناشرو الطرق الصوفية هذا الوضع البائس فأكثروا من التحدث عن الفقراء

(١٠٢) جبل نفوسة يقع في الجنوب الغربي لمدينة طرابلس. بالزاوية الغربية.

(١٠٣) محمد سعيد البوجديدي: لمحات عن الحياة الثقافية في الجبل، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد ٢٠ يوليو ١٩٩٨، ١١٣؛ د. عبد الحميد الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، ص٢٦.

(١٠٤) الكتابة عن الصوفية وتاريخها في برقة وطرابلس قضية ثقافية جديرة بالعناية والتتبع تصلح لدراسة مستقلة موسعة للبحث عن آثارها الإجتماعية والعقلية والدينية سلبا وإيجابا.

(١٠٥) الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، القاهرة، ص١٠٦ .

(١٠٦) قام العثمانيون بتنصيب إمام للاحناف بجانب أئمة وقضاة المالكية. الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي، ص١٠٦ .

(١٠٧) انظر مجموعة من الوثائق حول تعدد الطرق الصوفية ومزايا رجال الدين ومرتباتهم في ملف المساجد والطرق الصوفية، بدار المحفوظات التاريخية، السراي الحمراء بطرابلس.

(١٠٨) ذكر العياشي أن بالزاوية الغربية شيخ، كل من له حاجة طلبها منه وأتاه بصدقة، ولا يذهب عنه إلا وهو يعتقد أنه ظفر بحاجته. الرحلة، ج٢ص٥٣١.

(١٠٩) ازداد تغلغل التصوف بين أوساط العامة في المدن والقرى والبادية بشكل واسع وعريض.

(١١٠) محمد البهيلي النيال: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، تونس ، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، ١٩٦٥، ص٢.

والمحـرومين، ملحـين فـي مـواعظهم وأذكـارهم وأورادهـم علـى أن الفقـر والجهـل والظلـم نعمـة، فالعبـد المقهـور فـي دنيـاه سـتكون الجنـة مـأواه لا محالـة، وأن الشيخ الولي هو الدليل والمرشد لكل تائـه ليأخـذ بيـده ويوصـله إلـى أبـواب النعـيم الأخروي، حتى بات في يقين الكثير من الناس أن كل من ليس له شيخ، يرتبط به وينصاع لأوامره وتعليماته ويحظى ببركاته ، فإنه خاسر في الدنيا والآخرة ، وقد أدى إهمال شأن العلم والعلماء إلى انحدار المستوى الفكري بين سكان المدينة الذين سـيطرت علـيهم العقليـات الخرافيـة ومـالوا إلـى الاعتقـاد فـي كـل مـن ادعـى الولايـة أو التصـوف بحق وبغير حق. (١١١)

والسبب الثـاني أن الحكـام العثمـانيين وجدوا فـي الصوفية وسيلة لبث سيطرتهم وأضعاف المقاومة الشـعبية ضـد حكمهـم خصوصـا بعـد ابتعـاد الصـوفية عـن الأسـس المثاليـة، وابتعادهـا عـن الأسس العقائدية والفكرية والفلسفية الأولية التى انتلـق منهـا بنـاة هـذه الحركـة فـي القـرن الثـاني والثالث للهجرة في الوقت الذى استباح فيه كبار الاتـراك لأنفسـهم ولحاشـيتهم العـيش عـيش رغـدة متخمة بمظاهر الطرف والبذخ واللهو وقد تماشي مـع أهوائهم ووافق سياسـتهم مـا نقل عـن مؤسس الطريقـة القادريـة ، الشـيخ عبـد القـادر الجيلانـي قولـه: "أيهـا الفقيـر إيـاك إيـاك أن تنـازع محظوظـا، فإنـه يسـلم ويرتفـع وأنـت تهلـك وتـنحط وتنـزل وتفتضح، فكيف تغيرك حظك بمنازعته"(١١٢)، **وأما العامل الثالث** في انتشار الطرق الصوفية هو أن الحكام الاتراك أنفسهم عملوا على تقريب وتعظيم أولئـك الشـيوخ الـذين ازدادوا حظـوة ومكانـة فـي المجتمـع، وكثر عددهم وتنوعت طرقهم وزواياهم، كمـا اسـتغل عمـوم الشـعب المغلـوب علـى أمـره خـوف الحـاكم مـن الشـيوخ، فجعلـوهم ملاذهـم وملجأهم، هربا من بطش الحكام وملاحقة جنودهم القساة، وقد تمكن أولئك الصوفية في الواقع في كثير من الأحيان حماية الناس والدفاع عنهم بجرأة مشهودة(١١٣)، كما كان لرجال الصوفية دور في مقاومـة رجـال التبشـير المسـيحي بقـوة وإفشـال خططهـم الراميـة لتنصـير المسـلمين رغـم وسـائل الإغراء والترغيب التي كان يبذلها أولئك المبشرون

وقـد أخـذت المتصـوفة صـفة المـرابطين مـن مـرابطتهم علـى الثغـور وحراسـتهم للشـواطئ(١١٤)، فأصبحت الربط والزوايا المنتشرة في الشمال دورا لنشر الطرق الصوفية، وأيضا مدارسا لتلقي العلم والفقـه والعلـوم المختلفـة، ومكانـا لاستنسـاخ المصـاحف ووكتـب الفقـه والحـديث والتصـوف

(١١١) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس ، ص١١٥.

(١١٢) محمد سيف الدين الكيلانـي : الـدرر السـنية فـي المواعظ الكيلانية ، استنبول، ١٣٠٢هـ، ص ١٠.

(١١٣) انظر حول مكانة الأولياء وشيوخ الصوفية عند الحكام الأتراك : ريتشاد تـوللي : عشـر سـنوات فـي بـلاط طـرابلس ترجمـة عمـر الـديراوي أبـو حجلـة، طـرابلس، مكتبـة الفرجـاني، ص٧١؛خليفـة التليسـي: حكاية مدينة طرابلس، ص١١٠.

(١١٤) د. عبد الحميد الهرامـة: فصـول مـن تـاريخ ليبيا الثقافي، ص١٨٢.

وغيرها، ولم يقتصر دور هذه الزوايا على أبناء الإقليم فقط ، وإنما وفد إليها بعض الصوفية من بلدان مجاورة، ومنهم: الشيخ محمد بن سعيد الهبري[١١٥] من جزائر المغرب، وارتحل إلى طرابلس واستطونها ، وكان له باع طويل في تفسير القرآن العظيم والأحاديث النبوية، وكان يقوم بتعليم القرآن في طرابلس[١١٦].

الطرق الصوفية [١١٧]:

الزروقية: مؤسسها الشيخ أحمد أبو العباس أحمد بن عيسي البرنسي الفاسي المشهور بالزروق، ولد بفاس بالمغرب عام ٨٤٦هـ، حج مرات، دخل طرابلس فاستقر في مدينة مصراته، حيث وجد كل ترحيب من أهلها فقرر الاقامة فيها، وجعلها قاعدة لنشر طريقته الصوفيه، فكثر حوله الطلبه والمريدون الذين حملوا مذهبه وطريقته، فأقاموا له زاوية بعد مماته في مصراته، وتوفى عام ٨٩٩هـ[١١٨]، وضريحه في زاويته بمصراته، وقد انتشرت طريقته بعد مماته في برقة وطرابلس، وترك الشيخ زروق مجموعة من المؤلفات الفقهية والصوفية والأذكار والشعر والرحلات[١١٩]، وكان محل الشيخ معلوما لقراءة القرآن العظيم يأوي إليه طلاب العلم[١٢٠].

السُلامية : ومؤسسها في بلدة زليطن الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتوري، ولد بزليطن، وهي من ضواحي طرابلس، في عام ٨٨٠هـ وتوفى عام ٩٨١هـ ، ودفن في نفس البلدة ، وضريحه داخل زاويته ، وقام الشيخ بزيارة تونس وأقام بمدينة طرابلس، وأخذ يدعو لطريقته التى عرفت بالسلامية أو العروسية ، ويستفاد من دراسة تاريخ الشيخ عبد السلام ، أنه كان على درجة من العلم والفقه وذكر أن له مؤلفات كثيرة في علوم الدين المختلفة، والازكار والاوراد والاشعار قيل إنها بلغت ٥٠٠ مخطوطة وجلد، لكنها أتلفت أثناء غارة قام بها العربان بتحريض من الشيوخ المناهضين له. وقد أحيط بعد وفاته بهالة من القدسية، ونسب إليه كثير من الكرامات والاعمال الخارقة، روج لها اتباعه ومريدوه ، وبالغوا فيها مما أساء إليه ، كما أنه بعد اتلاف مصادر هذه الطريقة الاساسية المشتملة على مؤلفاته وأقواله، أخذ هؤلاء يروون ما سمعوه عنه ، بأسلوبهم ووفق مفهومهم التى كان يتناسب مع درجة علم وتمكن الراوي والناقل لها. ومهما يكن فقد لقيت الطريقة السلامية من الانتشار في معظم ارجاء ليبيا ما لم

---

(١١٥) ولد بمستغانم وهى قرية من عمل جزائر الغرب . انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٤.

(١١٦) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٥.

(١١٧) إن دراسة الحياة الصوفية في برقة وطرابلس مجال خصب لدراسات جادة ، تتناول التاريخ والثقافة والفكر بشيء من التتبع والنقد والتحليل الذي يعطى نتائج قيمة دون شك في جانب التوثيق التاريخي.

(١١٨) ابن غلبون: التذكار ص ٢٥٦؛ أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص ١٨٣.

(١١٩) للمزيد عن الشيخ وطريقته راجع علي فهمي خشيم: أحمد الزروق والزورقية .

(١٢٠) ابن غلبون: التذكار ص٢٥٦.

تتلــه الطــرق الاخــرى فتعــددت زواياهــا وكثــر المريدون والاتباع كما وصلت الى تونس.[١٢١].

ومن مرشدى الطريقة السلامية ، أبو عبد الله محمد أبو راوي، فقيه، ألف كتابا في السير ، توفى عام ١٠٨٨هـ، وضـريحه بزاويتـه بسـاحل آل حامـد معروف، يقصد للزيارة[١٢٢]

ومن شيوخ الصوفية :

الشيخ محمد الشهير بشأن الشأن: مجذوب[١٢٣]، له كرامات

خليفة أبو غرارة: كان بموضع يقال له الحارات، قريب من طرابلس بنحو من ثلاثة أميال، يهابه الأمراء ، وتعظمه العلماء والفقراء.

الشيخ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري: توفي عام ٩٦٠هـ[١٢٤]

الشيخ أحمد **بن عبد الحميد اليربوعي:** شهرته بحر السماح، حفظ القرآن في زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ارتحل إلى المشرق وتعلم بالأزهر، وحج، أخذ عن الشيخ عبد السلام ، وخدمه، له كرامات، توفى عام ٩٧٩هـ[١٢٥]

الشيخ أحمد بن عبد الله الكمودي: شقيق الشيخ عبد الحميد ، مجذوب، له كرامات، وفاته سنة ٩٨٤هـ[١٢٦].

الشيخ محمد بن علي السملقي: أخذ الطريقة على الشيخ عبد السلام الأسمر، توفى سنة ٩٨٨هـ[١٢٧].

الشيخ أحمد أبو قطاية: مجذوب، له كرامات، توفي عام ٩٨٩، دفن بمسجد جده، وقبره مشهور يزار[١٢٨]

عبد الحميد بن عبد الله الكمودي المشهور بضوء الهلال: ولد سنة ٩٠٥هـ، ورحل إلى تونس، ومصر ، وبغداد، وحج ، من أصحاب عبد السلام الأسمر، توفى بالزاوية الغربية عام ٩٩١هـ، وقبره مشهور يزار .[١٢٩] .

---

(١٢١) للمزيد عن الطريقة السلامية ومؤسسها راجع الطيب المصراتي: كتاب الفتح الاكبر في تاريخ سيدى عبد السلام الاسمر.

(١٢٢) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥١.

(١٢٣) المَجْذُوبُ : (في اصطلاح الصُّوفيَّة): من جَذَبَهُ الحق إلى حضرته وأَوْلاَه ما شاءَ من المواهب بلا كُلْفَةٍ ولا مُجَاهدَةٍ ورياضة. مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣١٥.

(١٢٤) النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢٠٦.

(١٢٥) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢١٢.

(١٢٦) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢١٦.

(١٢٧) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢١٩.

(١٢٨) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢١٧.

(١٢٩) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٢١.

أبو الحسن على بن محمد البشت: من أصحاب الشيخ عبد السلام الأسمر، توفي عام ٩٩٧. وقبره مشهور يزار.(١٣٠)

إبراهيم بن علي العوسجي: ولد سنة ٩٠٤هـ ، كان وليا صالحا، له كرامات، من أصحاب الشيخ عبد السلام الأسمر، توفي بالزاوية عام ٩٩٨هـ وقبره مشهور يزار.(١٣١)

عمر بن عبد الرحمن القريو: ولد بطرابلس سنة ٩٠٦هـ، وحفظ القرآن في المدرسة، ورحل إلى تونس ، كما رحل إلى مصرودرس بها، وحج ، وأخذ عن عبد السلام الأسمر، وظهرت له كرامات ، توفى بالزاوية الغربية عام ٩٩٩هـ(١٣٢)

محمد بن الصيد: ولي الله، توفى سنة ١٠٥٠هـ، وقد ورد عند العياشي: والصيد في لغة هذا القطر هو الأسد، وسمي كذلك لكثرة ردعه للظلام وقهرة للجبابرة، حتى كان لا يجترئ أحد على معارضته في ما أمر به، ولا يتعرض لمن انتسب إليه. وظهرت له كرامات(١٣٣)

أبو عبد الله الشيخ محمد بن أحمد بن الإمام:

ذكر ابن غلبون أنه ممن استوطن طرابلس من العلماء الأغراب(١٣٤)، توفى عام ١٠٨٢هـ، جمع بين العلم والعمل، قام بشرح خليل شرحا حافلا(١٣٥).

ثالثا: أثر مرور رحلات الحج بالإقليم على الحياة الثقافية.

إن رحلة الحج تمثل أهمية كبرى في تطور الحضارة العربية الاسلامية على مر العصور، وبطبيعة الحال لم تتلخص هذه الأهمية في أداء شعائر الحج لذاتها، بل في كون القيام بفريضة الحج في واقع أمرها: رابطة قوية من روابط الوحدة بين أجزاء العالم الإسلامي، وخاصة بعد التفتت المذهبي والقطيعة السياسية التى ألمت بأطرافه في بعض العصور، في كل من المشرق والمغرب، وهكذا كانت قوافل الحجاج ذاهبة وآيبة من أقاصي المشرق والمغرب إلى بلاد الحجاز، ومنه طوال الشهور وعلى مدار العام وهى تحطم الحدود السياسية الموهومة، وتؤكد وحدة العالم الإسلامي، وتحمل علوم المشرق العربي إلي المغرب والعكس بالعكس، فتعمل على تأكيد عالمية الدائرة الثقافية الإسلامية(١٣٦).

---

(١٣٠) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٢٣.

(١٣١) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٢٤.

(١٣٢) انظر النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٢٥.

(١٣٣) العياشي: الرحلة ص ٣١٨؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٥٥. وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزة، وهو أخذ عن الولي الكبير والعالم الشهير، سيدي أبي عمرو القسطلي المراكشي، من وجوه مراكش وأعيانها، حفظت له بعض الكرامات، توفي عام ٩٧٤هـ. انظر الطيب: نشر المثاني ج١٦٩.

(١٣٤) ابن غلبون: التذكار ص ٢٦٣.

(١٣٥) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص ٢٤٧.

(١٣٦) د. عبد السلام محمد أبوسعد: رحلة العلماء إلى الحج وأثرها في توحيد النصوص والتشريعات، مجلة

وعندما نستعرض طريق حجاج المغرب، يتضح أن العديد من المدن فى إقليم برقة وطرابلس كان يمر بها ركب الحج المغربي[١٣٧] وكانت عادة ركب الحجاج إذا دخل طرابلس أن يقيموا بها نحوا من شهر[١٣٨] مما كان له أثره فى النشاط الثقافى[١٣٩]، حيث كانت تدار فيها حلقات النقاش ومجالس العلم[١٤٠].

وكان الركب ينزل قريبا من المساجد[١٤١]، ويلتقى بالعلماء والفقهاء، ويزور أفراده ذوى الفضل من الصلحاء[١٤٢].وكان أهل طرابلس يستفيدون من مرور العلماء ببلدهم، فكان الناس يجلسون إليهم ليسألوهم عن بعض المسائل الفقهية، وكان بعض الناس ممن لا يمر الركب ببلدهم يأتي ليسأل عن أمور الدين ومسائل من العبادات والفتاوى[١٤٣]، وكان بعضهم يحرص على أن يكتب السؤال للشيخ حتى يأخذ الإجابة مكتوبة[١٤٤] ، وعندما يختلف أهل البلدة في حكم فقهي كانوا يلجئون إلى العلماء من الحجاج المارين بهم ليسألوه، ليفصل بينهم[١٤٥] ، وقد ذكر العياشي أنه جاءه "**رجل ممن ينتحل العلم من أهل الزاوية الغربية... ، وكلفنى قراءة بعض الألفية، وكلفنى قراءة بعض التلخيص للقزوينى، فقرأ ما تيسر منه، وورد علي في طرابلس صاحبنا سيدى أبو راوي من حفدة الشيخ سيدى عبد السلام وذاكرنا واستفاد أشياء في التوقيت**"[١٤٦] وكان بعض الحجاج يستغل الفترة التى يقيمها في العلم والتعلم بل والعمل[١٤٧].

ولاشك أن علماء الإقليم كانوا يستفيدون أيضا من الكتب التى يحملها الحجاج معهم، فقد ذكر العياشي أن **معه حمل من الكتب أثناء إقامته بطرابلس**[١٤٨].

الوثائق والمخطوطات، مركز جهاد الليبيين، العددان الخامس عشر والسادس عشر لسنة ١٩٩٩–٢٠٠٠م، ص٣٧.

(١٣٧) انظر العياشي: الرحلة، ج١ ص ١٥٥–١٧٨.

(١٣٨) العياشى: الرحلة ج١ ص ٤١.

(١٣٩) لم يكن الأمر قاصرا على رحلات الحج، بل كان للقوافل التجارية إسهاماتها الثقافية، فقد كان يسير مع الرفقة العلماء وطلاب العلم، فضلا عن اهتمام التجار أنفسهم بالعلم. انظر صلاح عثمان: الحياة الاجتماعية والثقافية فى برقة وطرابلس منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٣٢.

(١٤٠) العياشي: الرحلة ج١ص ١٣٣، ج٢ص٥٠٠.

(١٤١) العياشي: الرحلة ج١ص١٣٧

(١٤٢) التيجانى: رحلة التيجانى، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، (د. ت)، ص ٢٥٠

(١٤٣) العياشي: الرحلة ج١ ص ١٢٨، ج٢ص٥٠٢.

(١٤٤) العياشي: الرحلة ج٢ص٤٩٩.

(١٤٥) العياشي: الرحلة ج٢ص٤٩٩.

(١٤٦) العياشي: الرحلة ج٢ص٥٠٢.

(١٤٧) د. يونس عمر فنوش: المجتمع الليبي في الأدب الشعبي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول يناير ٢٠٠٠م ص٨٤؛ تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي ، ص١١٢.

(١٤٨) العياشي: الرحلة، ج٢ص٤٩٢

استفادة الحجاج من مرورهم وإقامتهم بطرابلس:

ورد في رحلة العياشي ما يدل على تعلمه على فقهاء وعلماء طرابلس عند مروره بها، ومنهم الشيخ محمد بن مساهل الطرابلسي[١٤٩]، والشيخ محمد المكني[١٥٠]، كما استفاد من الكتب الموجودة بمكتبات المشائخ بطرابلس، بالإطلاع عليها والنقل منها [١٥١]، أو بلقاء مشائخ المغرب في طرابلس والاستفادة منهم والنقل عنهم، فقد ذكر العياشي أنه التقى بالشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني[١٥٢] في سنة ١٠٦٤هـ، قدمها حاجا وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسمطينة[١٥٣]، يقول العياشي: ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده وبعضها بخطه، فأعارها لي مدة إقامته هناك[١٥٤]، **كما التقي بركب تونس ومعهم الشيخ عاشور القسمطيني[١٥٥]، الذي حمل معه جميع كتبه، وأخذ منه العياشي إجازة له ولغيره** [١٥٦]

كما استعار العياشي من **مفتى طرابلس الشيخ محمد المكني بعض الكتب التى عنده، ولم يقف الأمر عند ذلك بل استعار له الشيخ من غيره بعض الكراريس ، وظلت عنده حولا كاملا**[١٥٧]وقد ذكر العياشي ما يدل على أن محمد المكني لديه مكتبة ليس مثلها لأحد من أهل بلده، كما أن اقتناء الكتب الكثيرة اعانته **على ولاية منصب الفتوى**[١٥٨].

ذكر ابن غلبون في ترجمة الشيخ محمد بن مقيل، أنه لم تكن له رحلة لطلب العلم، وأنه تفقه وتعلم من الشيخ أحمد المكني(مفتي طرابلس)، وغيره من الوفود القادميين على البلد[١٥٩]**، كما ذكر في ترجمة الشيخ محمد بن مساهل أن" له تعلق زائد بالوفود القادمة على البلد للقاء أهل الخير"**[١٦٠].

والعياشي يهتم بذكر العلماء الذين التقى بهم ووقفوا منه موقف المتلقين: رواية أو قراءة أو

---

[١٤٩] الرحلة ج٢ ص٤٠٣؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب ص٢٤١؛ ابن غلبون: التذكار، ص٢٦٧. ذكر العياشي: أخبرنا شيخنا سيدى محمد بن مساهل الطرابلسي سنة ١٠٦٤هـ، ويذكر بعض الأخبار التاريخية.

(١٥٠) العياشي: الرحلة ج١ص١٤٦، ج٢ص٥٠٥.

(١٥١) ومنهم الشيخ محمد الصالح بن سيدى عبد الله بن عبد العزيز الحمروني .العياشي: الرحلة ج٢ص٥٣٢.

(١٥٢) له تآليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره كانت وفاته سنة ١٠٧٣هـ، توفي شهيدا بالطاعون. العياشي: الرحلة ج٢ص٥١٤

(١٥٣) العياشي: الرحلة ج٢ص٥١٥.

(١٥٤) العياشي: الرحلة ج٢ص٥١٤

(١٥٥) عاشور بن عيسى القسنطيني، عالم عامل، استوطن تونس، كان حيا سنة ١٠٧٤هـ. ابن مخلوف: شجرة النور الذكية فى طبقات المالكية، دار الكتاب العربى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٤٩م،ج١: ٤٤٩.

(١٥٦) العياشي: الرحلة، ج٢ص٥٠٣.

(١٥٧) العياشي: الرحلة ج٢ص٥٠٧.

(١٥٨) العياشي: الرحلة ج٢ص٥٠٥.

[١٥٩] ابن غلبون: التذكار ص٢٦٦، ص٢٩٣.

[١٦٠] ابن غلبون: التذكار ص٢٦٧.

إجازة، أو أخذ هو عنهم، فكأن رحلة الحج تحولت عنده إلى رحلة في طلب العلم، ويدل على أن رحلة الحج لم تعد قاصرة على وصف مراحل الطريق إلى الحرمين الشريفين إلى جانب التعريف بمناسك الحج، بل أصبحت نوعا مما كان يسميه المغاربة "الفهرسة" التي تعني عرضا لأساتذة المؤلف والعلوم التي أخذها عنهم[١٦١].

وقد تميزت الرحلة العياشية بأنها ديوان علم وأدب، وسجل تاريخ وتصوف، وكتاب أخبار وآثار؛ اشتملت على جملة من النصوص والرسائل والإجازات والنقول وخطب لبعض الكتب كما أنها تترجم لعدد من الأعلام الذين لا نجدهم في غيرها من الكتب والرحلات وأمهات المصادر، كما كشفت النقاب عن العديد من المواقف والرجال والطرق الصوفية والزوايا والكتب والأشعار والخزائن والمكتبات والوقائع والأحداث والبيوع والمعاملات والإجازات التى تعطى فكرة موضوعية عن الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، فكانت كما وصفها صاحبها "ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة"[١٦٢].

ومن مشائخ طرابلس الذين التقى بهم العياشي بطرابلس الشيخ محمد بن مساهل مفتي طرابلس الذى كتب إليه العياشي يعرفه بقدومهم، ويرجوه معاونة صاحبهم الذي أرسلوه إليه لقضاء حاجاتهم من مسكن وغيره[١٦٣]، وممن لقيه في طريق العودة مفتي طرابلس محمد المكي الذي ولى الفتوى بعد ابن مساهل والذى ذكر العياشي أنه لم تكن له رحلة في طلب العلم[١٦٤]، وممن التقى به الحاج عبد الله بن غلبون في منزلة بقصر أحمد، وسيدي أبي العباس خادم سيدي أحمد زروق[١٦٥]، ثم سيدي محمد اليربوعي، والشيخ الصيدلاني وولده عبد الحفيظ[١٦٦].

وممن لقيه في طرابلس الشيخ عاشور القسنطيني الذى كان سائرا للحج في ركب تونس، وهو ينوى المجاورة في المدينة المنورة، وعندما طلب منه العياشي الإجازة اعتذر بضيق

---

[١٦١] انظر عرض العياشي لبعض شيوخه وما أخذ عنهم في طريق الحج سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م، وطلبه من الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني عندما حج معه الدخول على يديه في الطريقة الشاذلية ، كما أخذ عنه بعض مؤلفاته. الرحلة ج٢ص٣٩١.

[١٦٢] العياشي: الرحلة ج١ص١٩٥. سجلت رحلة التيجاني تاريخ وحضارة طرابلس في القرن السابع الهجري، كما سجلت رحلة العياشي تاريخ وحضارة طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري وخاصة الحياة الثقافية.

[١٦٣] العياشي: الرحلة ج١ ص٥٩.

[١٦٤] العياشي: الرحلة ج٢ ص٣٨٤.

[١٦٥] الرحلة ج٢ ص٣٨٧.

[١٦٦] الرحلة ج٢ ص٣٨٠.

الوقت[١٦٧]، والشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني، ووالده عبد الكريم عندما حج في سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م، وطلب منه الدخول على يديه في الطريقة الشاذلية، كما أخذ عنه بعض مؤلفاته، مثل شرحه لأرجوزة المكودي وديوانه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[١٦٨].

ومن **علماء طرابلس** الذين مدحهم العياشي بعلمهم الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الصيد الطرابلسي التقى به بطرابلس وزاره وقال عنه" وهو ممن نفع الله به العباد في تلك النواحي، وجمع الله القلوب على محبته، وهابه الأمراء وانثال عليه للتبرك الأغنياء والفقراء"[١٦٩]

وواضح من رحلة العياشي أن طرابلس كانت تنعم بمستوى ثقافي جيد في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، فمدرسة زنزور توصف بأنها من أحسن المدارس في تلك السواحل، وكان من العاملين فيها حينئذ محمد بن بلقاسم الغرياني الذي يوصف بالنسك والخشوع[١٧٠]

- مكانة العلماء:

وكان العلماء لهم مكانة لدى الولاة وسكان طرابلس، وقد استغل عثمان باشا الساقزلي هذه المكانة فاستعان بالشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمد الصيد في تسكين ثورة الناس عليه[١٧١]. كما استخدم محمد بن جهيم وهو أحد أعراب فزان وساطة الشيخ على الحضيري ، الفقيه السبهي، عند محمد باشا والى طرابلس، فأرسل إليه الشيخ " يستعطفه ويطلب أن يكون في أمانه، ويدخل في طاعته، وأن يجعله عاملا كسائر عماله ، فأمنه وأحسن إليه، واستعمله على فزان"[١٧٢]، كما ذكر الجراح الأسير فمن الحق أن يقال إنه كان لبعض البارزين المتمكنين الصادقين من رجالها دور تاريخي هام في كبح جموح الحكام وكسر شوكة طغيانهم حتى اضطر هؤلاء الحكام أن يعترفوا لهم بشيء من الحصانة وحق الحماية. [١٧٣]

رابعا: عوامل التأثير الإيجابي وأسباب ركود الحياة الثقافية:

لعل أهم عوامل التأثير الإيجابي في الحياة الثقافية ما يلي:

– اهتمام بعض الولاة في بداية العهد العثماني

---

[١٦٧] الرحلة ج٢ ص٣٨٢.

[١٦٨] الرحلة ج٢ ص٣٩١.

[١٦٩] العياشي: الرحلة ج١ص ١٣٣.

[١٧٠] الرحلة ج٢ ص٤٠٣؛ وقارن عبد الرازق الغرياني: ذكر الأولياء والعلماء، مخطوط بمركز جهاد الليبيين تحت رقم ٢٦٠/م ، ورقة ٧.

(١٧١) العياشي: الرحلة ج٢ص٥٣٣؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب ص ٢٤١.

(١٧٢) النائب الأنصاري: المنهل العذب ص ٢٣٧.

(١٧٣) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص١١٦.

الأول بالنواحى الثقافية والعمرانية.

- لـرحلات العلميـة إلـى مصـر وتـونس وفـاس وغيرها.

- مـرور العلمـاء بـإقليم برقـة وطـرابلس وهـو فـي طـريقهم إلـى المشـرق لتأديـة فريضـة الحـج أو لطلب العلم هناك أو لتحقيق غرض تجاري أو غيره، أو فـي طريـق عـودتهم مـن المشـرق إلـى موطنهم بالمغرب، مما كان له أثر عظيم على الثقافة والتعليم .

- ظهور مجموعة – وإن كانت قليلة– من العلماء حـاولوا بقـدر مـا سـمحت الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية النهـوض بـالمجتمع ، فنالوا احترام الولاة واحترام الناس.

أسباب ركود الحياة الثقافية :

يمكننا أن نرجع ركود الثقافة والفكر إلى مجموعة من العوامل وأهمها:

اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية :

من المسلم به أن الحركة الفكرية لا تزدهر إلا في أوضاع سياسية وأمنية مستقرة ، وفي نظرة شاملة للأوضـاع السياسـية فـي فترتنـا التاريخيـة نجـد أن الفوضى كانت تلف كل أجزائها فقد حكم طرابلس ٣٤ وال مـن عـام ١٥٥١– ١٧١١م.وأمـا دواخـل المنطقة التى كانت الهيمنة العثمانية عليها ضعيفة نسبيا فإن الأوضـاع فـي هذه المنـاطق لـم تعرف هـي الأخـرى الاسـتقرار بسـبب تشـاحن الزعامـات المحلية والقبلية وصراعاتهم التى لم يكن لها نهاية، ناهيـك عـن صـولات وجـولات أسـاطيل الـدول الأوربيـة علـى السـواحل بـين آونـة وأخـرى، وكـان يرافق قدوم حاكم جديد وذهاب حاكم قديم وخاصة في الفترة الأولى اضطرابات ومعارك تتساقط فيها رقاب رجال كثيرين من عرب وأتراك ، فكان حين يصـل الحـاكم الجديـد لكرسـي حكـم طـرابلس، يبـدأ حكمه بقتل أو سجن وتشريد جميع مؤيدي الحاكم السـابق مـن سياسـيين وعسـكريين ورجـال ديـن وعلماء(١٧٤)

- اضطراب الاحوال الاقتصادية والمعيشية :

الفوضى السياسية ينتج عنها أضطراب في القطاع الاقتصـادي والحيـاة المعيشـية ويضـاف إلـى ذلـك الاساليب الظالمة في سلب الناس أموالهم وأرزاقهم في شكل ضرائب وإتاوات ورشاوي، التى لم يكن لها ضابط ينظمها ويقننها مع فقر البلاد أصلا، فالسكان يعتمدون في حياتهم على الزراعة الفصلية وينتظرون ما تجود به السماء من أمطار التى تهطل أربع سنوات فقط في كل عشر سنوات، ويسود الناس البؤس في السنوات الستة العجاف الأخرى، وهذا الوضع يجعل الناس دائم الانشغال والتفكير في البحث عما يمسك عليه رمقه ورمق أولاده، وعلى ما يجنبه انتقام جباة الأتراك القساة،

(١٧٤) اتوري روسي: ليبيا،ص ١٨٢ .

بحيث يستحيل أن يخلق هذا الوضع المناخ الملائم لأزدهار الأفكار والآداب والفنون[١٧٥].وقد ورد عند العياشي ما يدل على ذلك يقول: وهممت ببيع بعض الكتب فلم أجد من يسأل عنها" [١٧٦]

عدم اهتمام الحكام بالحياة الثقافية

لم يكن حكام الأتراك في غالبيتهم رجال فكر وعلم ، فقد كانوا كما يقول عنهم الاستاذ التليسي: طبقة لا صلة لها بالعلم أصلا، فهم فئة من المغامرين والبحارة الممتازين الذين أدركوا بمهارتهم البحرية والعسكرية، مكانة عالية من مراكز السلطة [١٧٧]، ولا يتوقع من هؤلاء الحكام، وحالهم هذا أن يولوا الحركة الأدبية والعلمية اهتماما خاصا، فكان شغلهم الشاغل تثبيت حكمهم، وتدبير أو كشف دسائس منافسيهم على السلطة وملئ خزانتهم بالأموال والأرزاق والنفائس[١٧٨].

- عدم وجود حكم مركزي للبلاد :

كما يمكن إعادة ضعف الحركة الثقافية في العهد العثماني وقبله إلى أنه لم يكن فيها حكم مركزي منفصل، فقد كانت الأرض في معظم فترات تاريخها تابعة لغيرها من العواصم سواء كانت قريبة كتونس أو بعيدة كالاستانة ومعروف أن اهتمام الحكام ثقافيا وعمرانيا في تلك العهود ، ينحصر في عاصمة ملكهم ومركز قيادتهم وقوتهم.

هجرة العقول من البلاد :

ونتيجة للعوامل السابقة فقد تولد عامل مهم في عدم بروز ثقافة ذات بال وهو اضطرار العقول النابغة للهجرة أو اللجوء إلى الحواضر العربية الاسلامية الاخرى، بعد أن أصبح المناخ الثقافي الداخلي أصعب من أن يستوعب مواهبهم ويحقق لهم طموحاتهم العلمية، وكذلك فإن البلاد بوضعها ذاك لم تكن مغرية لرجال العلم والأدب الذين برزوا في البلدان المجاورة، ليكي يؤموها وينشروا فيها معارفهم.

هذه أهم العوامل التى عملت على افقار العطاء الثقافي في برقة وطرابلس، وما وصلنا من أخبار عن الحركة الثقافية ورجالها في العهد العثماني الاول – رغم قلتها– تؤكد أن الساحة شهدت مبادرات فردية في أنواع مختلفة من العلوم والمعرفة.

وقد ورد عند خليفة التليسي تقرير عن الحياة الثقافية في طرابلس في العهد العثماني الأول قال فيه: "ومن العبث أن نتحدث عن حياة علمية

---

(١٧٥) تيسير بن موسى: المجتمع الليبي ص٢٨٦.

(١٧٦) العياشي: الرحلة، ج٢ص٥٠٢.

(١٧٧) خليفة التليسي: حكاية مدينة ص ١٠٩؛ ص١١٥.

(١٧٨) لعل مسئولية الأتراك تنحصر في أنهم تركوا الوضع الثقافي على حاله ولم يعملوا على تحريكه وتبديله نحو الأحسن

ثقافية حية مزدهرة في المرحلة المعروفة باسم العهد العثماني الأول، وهي المرحلة التي تمتد من استرداد طرابلس من الاسبان سنة ١٥٥١م حتى قيام الأسرة القرمانللية سنة ١٧١١م، فلا تحدثنا كتب التاريخ عن هذه الفترة بما يؤكد قيام أي نوع من أنواع النشاط الثقافي العلمي بالمدينة"[١٧٩].

- نتائج البحث

يكاد يقتصر النشاط الثقافي على المدن الكبيرة وعلى المراكز الحضارية، كما أن المشهد الثقافي الذي تحقق في ذلك العهد كان يرجع الى جهود المواطنين الذاتية وإلى جهود وإسهامات من كان يوجد في برقة وطرابلس من علماء من أهل الإقليم ومن علماء مروا بالإقليم لتحقيق أغراض معينة، ومنهم من أتيحت له الإقامة لفترة زمنية ليتفاعل مع علمائها وطلاب العلم والمعرفة فيها ، وأن يفيد بعلمه وثقافته ويستفيد من علماء الإقليم .

وما ينطبق على المشهد الثقافية ينطبق على حالة التعليم باعتباره جزءً لا يتجزأ من الحالة الثقافية، فقد انحصر دور الدولة في بناء المساجد ومدارس تحفيظ القرآن الملحقة بالمساجد أو المستقلة عنها ، وتحبيس بعض الأوقاف للصرف عليها، وما عدا ذلك من نواحى التعليم في الزوايا والكتاتيب فقد اعتمدت على الجهود الذاتية.

والمتتبع للمشهد الثقافي في برقة وطرابلس في العهد العثماني الأول يلحظ قلة العلماء به، وندرة من له مؤلفات من بينهم، واتصاف بعض المؤلفات بالجمع والنقل والشرح والترتيب فقط، وشيوع ما سمي بالكناش[١٨٠]، كما أن معظم المؤلفات كانت في الشئون الدينية، وليس فيها كتاب فريد في بابه، كما يلحظ عدم ظهور علماء أفذاذ في الإقليم، وهذا يظهر جليا في طرابلس أما برقة فكان النشاط الثقافي أقل.

وقد اعتمد أغلب علماء الإقليم على التفقه والتعلم على علماء الإقليم والوافدين عليه[١٨١]، وأن من تولى الفتيا منهم – أحيانا– لم يكن لتميزه ومكانته العلمية، وفي هذا يقول ابن غلبون عن الشيخ أحمد بن محمد المكني: "ولم تكن له رحلة في طلب العلم ، ولا كثرة رواية، ونصّب لمكان البيت" [١٨٢]، أي تولى الإفتاء لا لعلمه، ولكن لشهرة بيته وفضل أسلافه[١٨٣].

---

(١٧٩) خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس، ص ١١٥.

(١٨٠) الكناش أوالكُنَّاشَةُ هي الأوراقُ تُجْعَلُ كالدَّفْتَر تُقيَّدُ فيها الفوائدُ والشوارد والملاحظات. انظر المعجم الوسيط ،ص ١٠٨.

(١٨١) قام الشيخ الحسين بن محمد الورثلاني سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، برحلته ومر على طرابلس فقال: انعدم التدريس للعلم في طرابلس ، وقل الاشتغال بالعلم رأسا فلا تجد مجلسا فيه، وكيف يتصور العلم فيها مع أن علماءها أفضل علماء الأوطان، غير أنهم لما انعدم التدريس منهم صاروا قاصرين لعدم انفاق العلم، فإن العلم يزيد بالإنفاق وينقص بعدمه. انظر الرحلة ص٦٢١.

(١٨٢) ابن غلبون: التذكار، ص ٢٩٣.

(١٨٣) الطاهر الزاوي: هامش تحقيق التذكار ص ٢٩٣.

المصادر والمراجع:

ألفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي،ط٢، ١٩٨١

اتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م، تعريب خليفة التليسي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ١٩٧٤

بشير محمد عربي: بلدية طرابلس في ١٠٠ عام ، طرابلس، منشورات بلدية طرابلس، ١٩٧٣.

التيجاني: رحلة التيجاني، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، (د. ت)،

تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدارالعربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٨

حاجى خليفة: كشف الظنون كشف الطنون عن أسامى الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة الدكتور. عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.

خليفة التليسي:حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧.

ريتشاد تـوللي: عشر سنوات في بلاط طرابلس ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس، مكتبة الفرجاني

الزركلي: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠

شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة وتحقيق د. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤.

صلاح عثمان: الحياة الاجتماعية والثقافية فى برقة وطرابلس منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، طرابلس، الفرجاني، ١٩٦١

الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، القاهرة

الطيب المصراتي: فتح العلي الأكبر في تاريخ سيدى عبد السلام الاسمر، بيروت، دار الكشاف ،١٩٦٩م.

عبد الحميد الهرامة" دكتور": فصول من تاريخ ليبيا الثقافي،أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م

عبد السلام محمد أبوسعد"دكتور": رحلة العلماء إلى الحج وأثرها في توحيد النصوص والتشريعات، مجلة الوثائق والمخطوطات، مركز جهاد الليبين، العددان الخامس عشر والسادس عشر لسنة ١٩٩٩-٢٠٠٠م

علـي مصـطفى المصـراتي: مؤرخـون مـن ليبيـا، طـــــرابلس، الشـــــركة العربيـــــة للنشر،١٩٧٧م.

عمر التومي محمد الشيباني"دكتور" : الثقافة والتعليم فـي ليبيـا فـي العهـد التركـي، مجلـة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأولن يناير ٢٠٠٤

علـي فهمـي خشـيم: أحمـد الـزروق والزروقيـة، طرابلس المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠

على مصطفى المصراتي: لمحات أدبية من ليبيا، طرابلس، مطبعة ولاية طرابلس الغرب،

عمـر كحالـة: معجـم المـؤلفين، بيـروت، مكتبـة المتنبي

العياشـــي: الرحلـة العياشـية، تحقيـق د. سـعيد الفاضـلي ود. سـليمان القرشـي، طبعـة دار السـويد للنشـر والتوزيـع، الإمـارت العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦

ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، دار المدار الإسلامي، عنـى بتصـحيحه والتعليق عليه الطـاهر أحمـد الـزاوي، بيـروت، لبنـان، الطبعـة الأولى، ٢٠٠٢م.

مجمـع اللغـة العربيـة : المعجم الوسيط، مكتبـة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤.

محمد البهيلـي النيـال: الحقيقـة التاريخيـة للتصـوف الإسلامي، تونس ، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، ١٩٦٥

محمد سعيد البوجديدي: لمحات عن الحياة الثقافية فـي الجبـل، مجلـة البحـوث التاريخيـة، مركـــز جهـــاد الليبيـــين للدراســـات التاريخيـــة، العـــدد ٢٠ يوليـــو ١٩٩٨، ١١٣

محمد سـيف الـدين الكيلانـي : الـدرر السـنية فـي المواعظ الكيلانية ، استنبول، ١٣٠٢هـ

محمد بن الطيـب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحـادي عشـر والثـاني، طبعـة فـاس ١٣١٠هـ

محمد فريـد : تـاريخ الدولـة العليّة العثمانيـة، تحقيـق: الـدكتور إحسـان حقـي، دار النفـائس، الطبعة العاشرة: ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦ م

محمد نـاجي ومحمد نـوري: طـرابلس الغـرب ، ترجمـة أكمـل الـدين محمد إحسان، طـرابلس، دار مكتبة الفكر، ١٩٧٣م.

ابـن مخلـوف: شـجرة النـور الذكيـة فـى طبقـات المالكيـة، دار الكتـاب العربـى، الطبعـة الثانية، بيروت، ١٩٤٩م

النائـــب الأنصـــاري: المنهـل العـذب فـي تـاريخ طـرابلس الغـرب، طـرابلس، الفرجـاني، ص١٩٧

النائب الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق علي مصطفى المصراتي، المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

يـونس عمـر فنوش"دكتـور": المجتمـع الليبـي فـي الأدب الشـــعبي، مجلـــة البحـــوث التاريخية، العدد الأول يناير ٢٠٠٠م.